المكان والزمان
في قصص الصعاليك
دراسة وصفية تحليلية

الدكتور

محمد سمير عبدالمعطي الديسطي

مدرس الأدب والنقد
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين
بدمياط الجديدة

مقدمة[1]:

والشعراء الصعاليك هم طائفة من الشعراء اشتهروا بالعدو والإغارة على القبائل للنهب وأشهرهم : الشنفري وتأبط شراً والسليك بن السلكة وعروة بن الورد.

لقد فرضت الحياة القبلية على أفرادها نظاماً سلطوياً يذوب فيه الفرد داخل الجماعة، يحمل اسمها ، وينتمى إليها ، ويحتمى بها ويحميها ، بشرط أن يكون ارتباطه بها من خلال صلة الدم التي يترتب عليها نقاء العرق واللون فإذا ما اختلط الدم العربي بغيره وصم بالهجنة ، وحرم من شرف الانتساب للقبيلة وحمل اسمها ، ووضع في قائمة المهمشين فيها ليقوم على خدمتها ، ارتضت مجموعة منهم هذه الحياة الذليلة ورفضته مجموعة أخرى وكان في رفضها تمرداً على القبيلة وأعرافها ، وخروجاً عليها ، انضم لهذه الفئة مجموعة من الخلعاء ليتكون من هؤلاء جميعاً ما عرف باسم الصعاليك تبنى هؤلاء خطابا ثورياً متمرداً ليقابل خطاب القبيلة السلطوي ، ويكشف هذا الخطاب المتمرد عن أيدولوجياتهم (أفكارهم ، معتقداتهم ، دوافعهم...) التي انفردوا بها عن القبيلة وطرحوها من خلال هذه الأيدولوجية أسلوب حياتهم المبنية على الثورة والتمرد ، وما يترتب عليها من خوف وقلق وتوتر وترقب ، دفعتهم هذه الحياة إلى الاعتماد على السرعة والتنقل وعدم الاستقرار مما جعل ارتباطهم بالمكان ارتباطاً سريعاً عابرا ، كما تركت هذه الحياة القلقة

---

(١) ينظر تاريخ آداب اللغة العربية – جرجي زيدان الجزء الأول ص ١٤١ – دار الهلال .

المتوترة تأثيراً على الزمن أيضاً لذلك فتح الباب للعديد من الافتراضات تتمثل فيما يلى:

- **ما مدى التأثير المتبادل بين الإنسان والمكان والزمان ؟**
- **ما مدى الارتباط بين المكان والزمان ؟**
- **ما مدى ارتباط المكان والزمان بالخطاب القصصي عند الصعاليك المتمثل في السرد والوصف والحوار؟**
- **ما مدى تأثير تأثر حياة الصعاليك بالمكان والزمان خاصة ؟**

وللإجابة على هذه الأسئلة تمت دراسة المكان والزمان في قصص الصعاليك في مقدمة وتمهيد ومبحثين اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي أداة لها . واتخذت من قصص الصعاليك مادة لها محددة إطارها الزمنى بالعصر الجاهلي حتى آخر عصر بنى أمية لاختلاف مفهوم الصعلكة في هذا العصر عن مفهومها في العصور التالية له لاختلاف الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية ودخول فكرة الاستجداء والعيارة عليهم وتغير مسمياتهم بالعيارين والشطار تبعاً لذلك .

وبهذا تكون هذه الدراسة (المكان والزمان في قصص الصعاليك) حلقة متممة لدراسة الخطاب في هذه القصص وعليه فإننا نتجاوز في هذه الدراسة التعريف بالصعاليك ونشأتهم وقصصهم كما نتجاوز التعريف بالخطاب القصصي وأنواعه والدراسات السابقة وكلنا أمل بأن يفتح الباب لدراسة تراثنا العربي بمناهج وأساليب حديثة .

وبالله التوفيق والسداد

المكان والزمان في الخطاب القصصي

تمهيد:

يرتبط الخطاب القصصي بصيغه المتنوعة السرد والوصف والحوار ، بالمكان والزمان ارتباطاً وثيقاً فالمكان بمفرداته المتنوعة ودلالاته وإشاراته ورموزه يعتبر محضناً للفعل القصصي فيمنحه الواقعية وشرعية التواجد ، أما الزمان وهو المحرك لهذا الفعل والمحقق له يمنحه الحياة ويحدد طبيعته وطريقة صوغه ، كما يؤثر في تكوين شخصياته جسدياً وفكرياً ، ويبعث فيهم الحيوية والاستمرار وبهما معاً – المكان والزمان – يتحقق وجود الخطاب وتكامله التقني .

وعلى الرغم من الانفصال الظاهري بين المكان والزمان إلا أنهما عنصران مندمجان في القصة ، ويعتبر الفصل بينهما فصلا شكلياً .

وممارسة إحضار الزمان والمكان مع الحدث ظاهرة فنية ، فالمكان يزمن بالزمان والزمان يمكن بالمكان ويطلق عليهما معا ميشال بوتور(المدى)[1].

ويرتبط المكان في القصة بالوصف ، فهو الأداة التي يتشكل بها المكان ، على حين ترتبط صياغة الزمان بالسرد .

(١) بحوث في الرواية الجديدة . ميشال بوتور . ترجمة : فريد أنطونيوس (دار عوديات ، بيروت ، ت ١٩٦٧) ص٧٨. .

المبحث الأول : المكان

لاشك أن الإنسان يرتبط بالمكان ارتباطاً وثيقاً يتأثر به ويؤثر فيه ، وتنشأ بينهما تبعاً لذلك علاقة تبادلية تسير في اتجاهين متوازيين ، فيسهم المكان في تشكيل فيزيولوجية الإنسان وأيدولوجيته فيطبع وعيه وفكره وهويته بطابعه تاركاً بصماته شاهداً على تأثيره فيه . ويسهم الإنسان بدوره في أنسنة المكان وتطويع بيئته وخصائصه وإعماره تاركاً آثار حضوره شاهدة على محاولة التطويع والأنسنة ؛ لذلك لا تبدو قيمة المكان إلا من خلال علاقته بالإنسان ، ولا يظهر وجود الإنسان إلا من خلال المكان .

في عالم القصة يرتبط المكان بالشخصيات ويحمل في طياته جميع الدلالات والرموز الملازمة له والتي تكون عادة مرتبطة بعصر من العصور حيث يسود ثقافة معينة أو رؤية خاصة للعالم . مثلما يرتبط المكان بالشخصيات يرتبط بالحدث ، فتتعدد الأماكن فيها تبعاً لتغير الحدث وتطوره ، وقد تخلق الأحداث أبعاداً في ذهن شخصيات القصة فيتكون من مجموع الأمكنة الحقيقية والذهنية ما يعرف بفضاء القصة[1].

ويرتبط الفضاء القصصي بحكم تعدد الأمكنة فيه وتصوير الحركة بينها باستمرارية سيرورة الحدث وتدفق الزمن فيها على حين يرتبط وصف المكان بالتوقف الزمني ، من هنا كان ارتباط المكان والزمن في القصة .

---

(١) بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي . حميد لحمداني (المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ، ط٣ ، ت ٢٠٠٠م) ص٦٤ وقد جاء فيه (الفضاء أشمل وأوسع من المكان ، والمكان بهذا المهني هو مكون الفضاء...) .

ولقد أفضت حياة الصعاليك الثائرة المتمردة إلى انفصالهم عن قبائلهم أيدولوجيا تبعه انفصال مكاني دفعهم إلى السكن في قمم الجبال والقفار طلباً للنجاة ، صور ذلك الأحيمر السعدي[1] فقال :

" كنت ممن خلعني قومي وأحل السلطان دمي ، وهربت وترددت في البوادي حتى ظننت أني قد جزت نخل ونار، وكنت أرى النوى في رجيع الذئاب ، وكنت أغشى الذئاب وغيرها من بهائم الوحش ، ولا تنفر مني لأنها لم تر أحداً قبلي"[2].

ويعكس المكان في قصص الصعاليك حياتهم القلقة المتوترة المتعمدة على الغارة حينا وعلى الفرار والاختباء حينا آخر . لذا لا يمثل المكان الاستقرار والهدوء والسكن بالنسبة لهم وإنما هو موطن يفر إليه أو منه . دفعتهم إلى ذلك حياتهم المرتبطة بالحذر والسرعة والتنقل فجعلت علاقتهم بالمكان علاقة سريعة عابرة ، لذا ضعف ارتباطهم به ، فكان سريعاً عابراً أيضاً . أدى ذلك إلى كثرة الأماكن وتعددها في قصصهم وشعرهم على السواء حتى أنهم انفردوا بذكر بعض هذه الأماكن عن غيرهم ، وكان شعرهم مصدراً أساسياً اعتمدت

---

(١) كان الأحيمر لصاً كثير الجنايات، فخلعه قومه ، وخاف السلطان فخرج في الفلوات وقفار الأرض الشعر و الشعراء. ابن قتية : أبو محمد عبد الله بن مسلم ، (٢١٣-٢٧٦ هـ) تحقيق :أحمد محمود شاكر (دار المعارف ، القاهرة ت ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٨م) ٧٨٧/٢ للمزيد أنظر معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي د. عفيف عبدالرحمن (دار المناهل ، بيروت ، ط١، ت١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م) ص١٢.

(٢) العقد الفريد ابن عبد ربه : أحمد بن محمد٣٢٨هـ (ط ت ١٤٠٤ هـ ١٩٨٣ م) ٢٩٠/٣ .

عليه معاجم الأماكن[1] وقد ذُكر أن بعض صعاليك السراة ويثرب واليمامة يبعد في غارته حتى يبلغ اليمن[2].

ويأتي ذكر المكان في قصص الصعاليك متقطعاً متصلاً بالوصف – وهو الأداة التي يتشكل بها المكان – وهي فقرات متقطعة أيضاً تتناوب في الظهور مع مقاطع الحوار والسرد.

وظيفة المكان :

تتعدد الأماكن في قصص الصعاليك وعلى الرغم من تعددها إلا أنها تحمل طابعاً متقارباً لتقارب الجغرافية وتقارب طبائع سكانها وعادتهم ؛ لذا فإن قيمة المكان لا تبرز إلا من خلال وظائفه المتعددة التي يمكن إجمالها في وظيفتين أساسيتين تندرج تحتها بقية الوظائف وهما :

- تأطير الحدث.
- الإسهام في التعبير عن الحدث.

تأطير الحدث:

يرسم المكان في القصة حدوداً مكانية تشكل تأطيراً ووسطاً للحدث فيها ، وقد تتعدد هذه الأمكنة وتشكل بتعددها واتساع مساحتها ما يعرف بالفضاء الجغرافي " تمثل هذه الأماكن نقطة الانطلاق لتحريك الخيال وشد الانتباه وتركيز الذهن وإضفاء الواقعية على البناء القصصي ولا يعمل على تطور الحدث ونموه بدليل عدم الارتباط بين طبيعة المكان والحدث وهذا ما نلحظه

(١) معجم ما استعجم ، البكري (مطبعة لجنة التأليف و النشر) .
(٢) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي .د. يوسف خليف (دار المعارف ، القاهرة ، ط ٢،ت١٩٦٦م) ص ٨٥.٨٦.

في قصة أبي خراش الهذلي[1] فقد قيل : " حدثنا عبدالله بن أبي سعد قال : حدثنا بن عمير بن عبدالعزيز بن عمر بن عبدالرحمن بن عوف قال : حدثني أبو بركة الأشجعي من أنفسهم قال : خرج أبو خراش الهذلي من أرض هذيل يريد مكة فقال لزوجته أم خراش : ويحك إني أريد مكة لبعض الحاجة وإنك من أفك النساء وإن بني الداليطلبونني بتراث فإياك أن تذكريني لأحد من أهل مكة حتى أصدر منها فقالت : معاذ الله أن أذكرك لأهل مكة وأنا أعرف السبب.... "[2]

يحدد المقطع السابق مكانين ارتبطت بهما أحداث القصة وهما أرض هذيل ومكة ، تمثل أرض هذيل نقطة الانطلاق أو بدء الحدث ، على حين تمثل أرض مكة مكان الحدث ووسطه ، لذا تكرر ذكرها على لسان الراوي " يريد مكة" وعلى لسان أبي خراش مسبوقاً بالتأكيد "أني أريد مكة " وعلى لسان أم خراش " أهل مكة" وعلى الرغم من هذا التكرار المشوب بالقلق والتحذير " ويحك – إياك" إلا أن المكان " أرض مكة" لم يسهم في نقل شيء من القلق والتوتر الذي تطرحه القصة لأنه البلد الحرام ، وذكره مدعاة لإشاعة الهدوء والأمن والاستقرار كما أن التحذير ارتبط بأهل مكة لا بمكة ذاتها لذلك كان ذكرها مجرد إطار للحدث يمكن إبداله بمكان آخر.

---

(١) هو خويلد بن مُرَّةَ ، أحد بنى قِرد بن عمرو بن معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل ، نهشته حية فمات في زمن عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – كان فارساً في الجاهلية فاتكاً عداءً لا تدركه الخيل – الشعر والشعراء ٦٦٣/٢ معجم الشعراء ٨٦ .

(٢) الأغاني أبو الفرج الأصفهاني على بن الحسين (٣٥٦هـ ٥٧٦م) دار الكتب العملية ، بيروت ت ١٤٠٧ هـ ١٩٨٦م)٢١ / ٢١١

ومن تأطير الحدث ما جاء في الأغاني عن الأثرم قال قال أبو عمرو في حديث عن تأبط شراً[1]:

"إنه خرج من عدة فهم فيهم عامر بن الأخنس ، والشنفري ، والمسيب وعمرو بن براق، ومرة بن خليف ، حتى بيتوا العوض وهم حي من بجيلة فقتلوا منهم نفراً ، وأخذوا لهم إبلاً ، فساقوها حتى كانوا من بلادهم على يوم وليلة فاعترضت لهم خثعم وفيهم ابن حاجز ، وهو رئيس القوم وهم يومئذ نحو من أربعين رجلاً فلما نظرت إليهم صعاليك فهم قالوا لعامر بن الأخنس ماذا ترى ؟ قال : لا أرى لكم إلا صدق الضراب ، فان ظفرتم فذلك وإن قتلتم كنتم / قد أخذتم ثأركم ، قال تأبط شراً : بأبي أنت وأمي فنعم رئيس القوم أنت إذا جد الجد وإذا كان قد أجمع رأيكم على هذا فإني أرى لكم أن تحملوا على القوم حملة واحدة فإنكم قليل والقوم كثير ومتى افترقتم كثركم القوم فحملوا عليهم فقتلوا منهم في حملتهم ثانية فانهزمت خثعم وتفرقت .... وساق تأبط شراً وأصحابه الإبل"[2]

ترتبط أحداث القصة بالشخصيات أكثر من ارتباطها بالمكان الذي تمثل من خلال بلاد بني فهم وحي بني بجيلة وفضاء جغرافي يمتد بين الحيين ذهاباً

---

(١) هو ثابت بن عمسل قال الأصمعي كان ابن طرفة الهذلي وهو أعلمهم بتأبط شراً و أمره يقول : هو ثابت بن جابر . كان شاعراً بئيساً يغزو على رجلية (وحده) كانت أمه تأخذ بوله إذا غزا ، فأخذت بوله وقد قتل بحمى هذيل ، فعرفت أنه قتل وهذيل تدعى قتله ، وهو أحد لصوص العرب وصعلكهم . الشعر والشعراء ٣١٦/١ معجم الشعراء٤٤.

(٢) الأغاني ٩٦/٢١ .

وإياباً تتمثل الأحداث من خلال الخروج من أرض فهم ، وحدث آخر تمثل في معركتين في مكانين هما:

- **حي بجيلة فيه معركة أساسية وهي الهدف من الخروج .**
- **موضع يقع على مسافة يوم وليلة من بلاد بني فهم ، وحدثت فيه معركة عارضة.**

هذا الفضاء الممتد من أرض بني فهم إلى أرض بجيلة وما فيه من أماكن متعددة تم تجهيلها ولم يذكر أي منها ، وتم تحديد المكان من خلال نسبته إلى ساكنيه من فهم وبجيلة، ولم تظهر لنا ملامح تحدد المكان أو تضاريس توحي بدلالاته لذلك لم يسهم في نمو الحدث ، وتطوره وظل مجرد إطار عام يقرب القصة للذهن والواقع .

وقد يتجاوز المكان دوره في تأطير الحدث إلى الإسهام في بناء المعنى القصصي ونقل الحالة النفسية والفكرية لشخصيات القصة فيكون أداة تعبير.

الإسهام في التعبير عن الحدث :

يسقط المكان دلالاته المتعددة على القصة فيسهم بهذه الدلالات في بناء المعنى القصصي ويكشف عن الحالة الفكرية والنفسية والاجتماعية لشخوصها بعد أن يسقط حالتهم على المكان الذي يتواجدون فيه فيحمل المكان بذلك دلالة القلق والتوتر أو الهدوء والارتياح وبذلك تخضع العلاقات الإنسانية العامة لإحداثيات المكان كما يرى لوتمان[1] من ذلك قول الراوي:

---

(١) بناء الرواية . سير قاسم (دار التنوير ، بيروت ، ت ١٩٨٥م) ص ٧٥ .

" ذكروا أن تأبط شراً خرج ومعه مره بن خليف يريدان الغارة على الأزد ، وقد جعلا الهداية بينهما ، فلما كانت هداية مرة نعس ، فجار عن الطريق ومضيا وقفا بين جبال ليس فيها جبل متقارب ، وإذ فيها مياه يصيح الطير عليها ، وإذا البيض والفراخ بظهور الأكم فقال تأبط شراً : هلكنا واللات يا مُرَّة ، ما وطيء هذا المكان إنسي قبلنا ، ولو وطئته إنس ما بضت الطير بالأرض ، فاختر أية هاتين القنيتين شئت ، وهما أطول شيء يريان من الجبال ، فأصعد إحداهما ، وتصعد أنت الأخرى..." (١).

تعكس القصة بما فيها من أماكن حياة الصعاليك وما فيها من ظلم وضياع وقلق وتوتر ووحشة ، فعلى الرغم من اتساع الفضاء الجغرافي في القصة إلا أنها ظلت أماكن عامة غير محددة فلم تنسب لقبيلة أو جهة كما لم ينسب بطل القصة لقبيلة فهما تأبط شراً ومرة بن خليف . ثم ذكرت هذه الأماكن من خلال وصف يعكس حالة الوحشة والخوف والقلق والضياع (وقفا بين جبال ليس فيها جبل متقارب... ما وطيء هذا المكان إنسي قبلنا ...) وقد وصلا لهذا المكان أو لهذه الحالة لأنهما جارا عن الطريقة مع تحمله كلمة الجور من ظلم ذاقا مرارته وتجرعا ألمه ، وما تحمله كلمة الطريق من دلالة مادية فتشير إلى السبيل المسلوك أو المكان المطروق ودلالة معنوية تشير إلى الحياة التي جارا عنها وابتعدا وهي حياة القبيلة . قادهما هذا الضياع للبحث عن مصيرهما ليجتازا الصعاب (فاختر أية هاتين القنيتين شئت ، وهما أطول شيء يريان من الجبال فأصعد إحداهما ، وتصعد أنت الأخرى...) مع ما تفرضه كلمة الصعود من العلو والارتفاع وكأنه يضمنها رغبة في الخروج من قاع القبيلة إلى سماء الإنسانية وسموها.

---

(١) الأغاني ١٠٦/٢١ .

وهكذا حملت لنا الأماكن في القصة دلالات على حياة الصعاليك وما فيها من إحساس بالقلق والخوف والضياع فأسهمت في التعبير.

ومن تأثير المكان في البناء القصصي قول الراوي:

" أخبرني الحسن بن علي بن عبدالله بن أبي سعد عن أحمد بن عمر عن أبي بركة الأشجعي قال: أغار تأبط شراً – وهو ثابت بن العميثلالفهمي ومعه ابن براق الفهمي على بجيلة فأطردا نعما ونذرت بهما بجيلة فخرجت في آثارهما ومضيا هاربين في جبال السراة وركبا الحزن ، وعارضتهما بجيلة في السهل فسبقوهما إلى الوهط – وهو ماء لعمرو بن العاص بالطائف – فدخلوا لهما في قصبة العين"[1]

نلحظ تعدد الأماكن في النص السابق تعددا يحمل طابع حياتهم ، وكثرة تنقلاتهم وعدم استقرارهم حيث اشتمل على خمسة أماكن ظاهرة ومكانين يتشكلان في ذهن المخاطب من خلال فعل الغارة الذي يتضمن مكانا أغار منه تأبط شراً ومكاناً آخر أغار عليه وهو أرض بجيلة وما بين المكانين مسافة تشكل مع بقية الأماكن فضاء للقصة تنعكس دلالات الغارة وما تتضمنه من سرعة على بقية الأماكن فيأتي ذكرها سريعاً خاطفاً مرتبطاً بالسرد فلم يقف عليها الراوي وإنما انطلق معدداً لها:

- **جبال السراة**
- **الحزن**
- **السهل**
- **الوهط**

---

(١) الأغاني ٢١/٨٨ .

ثم تتراخى السرعة من خلال جملة الوصف (هو ماء لعمر بن العاص في الطائف) ليكون المعنى بعدها حاملاً دلالة التربص والتخفي في قصبة العين.

تعكس هذه الأماكن بدلالاتها المختلفة طبيعة الصعاليك وصلابتهم وقوتهم لذلك جعلوا من منطقة الجبال والحزن وما فيها من صعوبات طريقا لهم . على حين سلكت بجيلة الطريق الأسهل والأيسر والسهل والوهط فيتحقق بذلك مفهوم التقاطب الذي صنفه حسن بحراوي : وهو وجود قطبين متعارضين(١) وبذلك حولت هذه الأماكن إلى أدوات تعبير عن كل من الصعاليك من جانب وبجيلة من جانب آخر .

هذه الأماكن وتعددها كانت مدخلاً للراوي كي يبدأ عرض قصته وأحداثها مشكلا بدلالة المكان وتعدده أرضاً واقعية للقصة ، ممهداً للذهن فكرة الارتحال والتنقل بينهما كما شكل بها شخصياتها المتباينة وطبائعهم المختلفة .

وقد يتجاوز المكان دوره في التمهيد للقصة إلى توصيل المعنى القصصي والإسهام في تفعيله من ذلك قول الراوي:

" زعموا أن سليكا خرج ومعه رجلان من بني الحارث بن امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم يقال لهما عمرو وعاصم ، وهو يريد الغارة ، فمر على حي بني شيبان في ربيع والناس مخصبون في عشية فيها ضباب ومطر ، فإذا هو بيت قد انفرد من البيوت وقد أمسى فقال لأصحابه كونوا بمكان كذا ، حتى آتى أهل هذا البيت فلعلي أن أصيب لكم خيرا ، أو آتيكم بطعام ، قالوا : افعل

---

(١) بنية الشكل الروائي . حسن بحراوي (المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ١٩٩٠م) ص٤٠.

فانطلق وقد أمسى وجن عليه الليل ، فإذا البيت بيت رويم ، وهو جد جوشب بن يزيد بن رويم وإذا الشيخ وامرأته بفناء البيت ، فأتى السليك البيت من مؤخره فدخله فلم يلبث أن راح ابنه بإبله ، فلما أراحها غضب الشيخ ، وقال لابنه هلا عشيتها ساعة من الليل ، فقال له ابنه : إنها أبت العشاء فقال : العاشية تهيج الآبية فأرسلها مثلا ثم غضب الشيخ ونفض ثوبه في وجهها فرجعت إلى مراتعها ومعها الشيخ حتى مالت بأدنى روضة فرتعت ، وحبس الشيخ عندها لتتعشى ، وغطى وجهه بثوبه من البرد وتبعه سليك فلما وجد الشيخ مفترا ختله من ورائه فضربه ،فأطار رأسه وصاح بالإبل فطردها ، فلم يشعر صاحباه – وقد ساء ظنهما وتخوفا عليه – حتى إذا هما بالسليك يطردها فطرداها معه..." (١)

ارتبط المكان في هذه القصة بالوصف الذي جاء متقطعاً متناوباً في الظهور مع السرد والحوار . ولم يرد ذكر اسم المكان صراحة وإنما ألحق المكان بالإنسان فهو حي بني شيبان فبيت رويم وتدرج في تحديد المكان حيث ابتدأ بالحي وانتهى بفناء البيت تاركاً للذهن رسم صورة من خلال خصوبة المكان وعزلته ووحشته . وفي إضافة المكان إلى الإنسان إشعار بوجود الحياة الإنسانية فيه ومحاولة لتبديد جوانب العزلة والتفرد التي أطلقت عليه رغم خصوبته وبذلك وجد الصعاليك أسباباً مغرية لغزو المكان وهو وجود الحياة الإنسانية الخصبة من جانب والانفراد والعزلة من جانب آخر وبذلك يسهم المكان في إيصال وبناء المعنى القصصي بها.

---

(١) الأغاني ٢٠/ ٤٦٥-٤٦٦ .

وبذلك نلحظ أن للمكان حضوراً واضحاً في قصص الصعاليك أسهم في تأطير الحدث فعمل على إضفاء الواقعية على النص القصصي وتقريبه لذهن المتلقي بذكر أماكن معروفة جغرافيا . كما يسقط المكان دلالته على البناء القصصي فيصبح أداة تعبير تكشف عن الحالة الفكرية والنفسية والاجتماعية لشخوص القصة بإسقاط حالتهم على المكان الذي يتواجدون فيه أو يسقط دلالة المكان على الحالة التي يخضعون لها وبذلك تخضع العلاقات الإنسانية لإحداثيات المكان.

المبحث الثاني : الزمان

يرتبط الزمان بالسرد ارتباطاً وثيقاً ذلك أن السرد ما هو إلا تزمين للفعل ، فهو يؤدي دوراً مهما في تكوينه يكسبه الحيوية والسرعة والتدفق ؛ ثم إنه يتحرك في مجراه وبواسطته . ويظهر الزمان في قصص الصعاليك من خلال :

- **المفارقة الزمنية .**
- **التواتر السردي .**

المفارقة الزمنية :

تحدث المفارقة بين زمنين زمن القصة وزمن سرد أحداثها عندما يتقيد الأول بالتتابع المنطقي للأحداث ، على حين لا يتقيد الثاني بهذا التتابع . لذلك نلحظ فيه خروجاً عن الترتيب الطبيعي للزمن سواء بعودة الأحداث للوراء أو محاولة استقراء لحظة المستقبل وقد أشار جيراجنيت إلى هذه التقنية بقوله " تعني دراسة الترتيب الزمني في الخطاب السردي بنظام تتابع هذه الأحداث أو

المقاطع الزمنية نفسها في القصة ؛ وذلك لأن نظام القصة هذا تشير إليه الحكاية صراحة أو يمكن الاستدلال عليه من هذه القرينة غير المباشرة أو تلك"(١).

وبذلك تنقسم المفارقة الزمنية إلى نوعين:

- **السرد الاستذكاري .**
- **السرد الاستشرافي .**

السرد الاستذكاري :

يرتبط السرد الاستذكاري بدافع قوي يتطلب استدعاء أحداث ماضية في لحظة الحاضر لوجود علاقة تربط الماضي بالحاضر . يقول غاستونباشلار عن هذه العلاقة " سرعان ما توصلنا إلى الاعتراف في الواقع بأن الذكرى لا تعلم دون استناد جدلي إلى الحاضر ، فلا يمكن إحياء الماضي إلا بتقييده بموضوعة شعورية حاضرة بالضرورة بكلام آخر حتى نشعر أننا عشنا زمنا وهو شعور غامض دائماً بشكل خاص – لابد لنا من معاودة وضع ذكرياتنا في وسط من الأمل أو القلق في تماوج جدلي ، فلا ذكريات بدون هذا الزلزال الزمني أو بدون هذا الشعور الحيوي"(٢).

---

(١) خطاب الحكاية . بحث في المنهج . جيرار جنيت . ترجمة : محمد معتصم وعبدالجليل أزدي وعمر حلمي (المجلس الأعلى الثقافي ، القاهرة ، ت ١٩٩٧م) ص٤٧ .

(٢) جدلية الزمن . غاستونباشلار . ترجمة : خليل أحمد خليل (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ط٢ ، ت ١٩٨٢م) ص ٤٧ .

وترتبط المقاطع الاستذكارية من حيث طول أو قصر المدة التي تستغرقها العودة للماضي بمدى هذه المفارقة[١] وفي الخطاب القصصي عند الصعاليك يظهر السرد الاستذكاري من خلال استهلال الراوي سرده بقوله قال ... أو ذكر ... أو أخبر ... أو حدث ... أو حكى ... أو زعم ... من ذلك:

- **أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال : كان سبب خروج مالك بن الرّيب... [٢]**
- **قال أبو عمرو : أغارت خثعم على بني سلامان بن فهم...[٣]**
- **حكى الأثرم عن أبي عبيدة أنه حدث عن عبدالله بن إبراهيم الجمحي قال : كان الأعلم أخو صخر الغيّ... [٤]**
- **زعموا أن أناساً من الأزد ربئوا لتأبط ربيئة... [٥]**

ويستحضر الراوي من خلال هذه الألفاظ (حدث ، أخبر ، ذكر ...) النص الماضي إلى الحاضر الذي هو بالنسبة إلى المخاطب ماضٍ أيضاً ، لذلك يحضر النص عبر مستويات زمنية متعددة ، وكأن زمن الرواية منشط للزمن الماضي من خلال لحظة شعورية يتدرج من خلالها الزمن مبتدأ بالحاضر مرتداً إلى الماضي فكان كالتالي:

---

(١) بنية الشكل الروائي ص ١٢٢
(٢) الأغاني ٢١/٤٧٣ .
(٣) السابق ١٣ /١٤٥ .
(٤) السابق ٢١/٥٠٣ .
(٥) السابق ٢١ / ٤٧٢ .

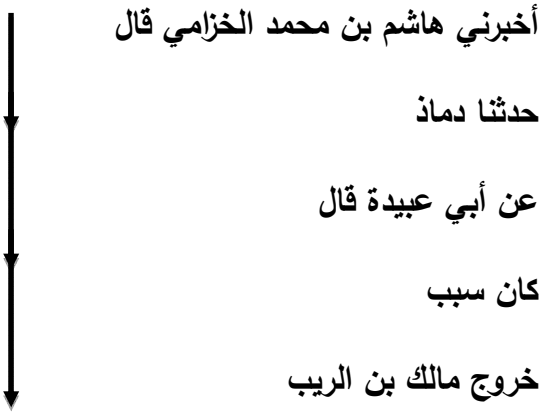

نلحظ وجود فجوة زمنية في السرد . فهو قد بدأ من اللحظة الحاضرة إلى الماضي ولكن حدثت الفجوة حيث قدم في السرد السبب على الخروج على حين كان يفترض ذكر الخروج قبل السبب ليتوافق التسلسل الزمني فيها من خلال الاستذكار .

ثم أننا نلحظ حضور السرد الاستذكاري من خلال شخصيات القصة أو أبطالها في جلسة سمر جمعت طائفة من الصعاليك هم مالك بن الريب وأبو حردبةوشظاظ . وتعتمد هذه الجلسة على مخزون ذهني يغترف منه كل منهم أحداث قصته من الماضي ليطرحها في الحاضر ، ويحمل مع الحدث صورة للزمان والمكان فتختلط بهذا السرد الاستذكاري الأزمنة والأمكنة من ذلك:

قال المدائني وحدثني أبو الهيثم قال :

" اجتمع مالك بن الريب ، وأبو حردبة، وشظاظ يوما فقالوا نتحدث بأعجب ما عملناه في سرقتنا ، فقال أبو حردبة: أعجب ما صنعت وأعجب ما سرقت أني صبحت رفقة فيهم رجل على رحل فأعجبني... [١]

---

(١) الأغاني ٢٢/٢٩٩ .

ثم قالوا لشظاظ أخبرنا أنت بأعجب ما أخذت في لصوصيتك ورأيت فيها فقال : نعم كان فلان (رجل من أهل البصرة) له بنت عم..." [١]

فالزمن الذي يتذكره مالك بن الريب [٢] يختلف عن زمن كل من أبي حردية[٣] وزمن شظاظ[٤] ، أي كان لكل منهم زمن ماضٍ يستعيده في اللحظة الحاضرة لتتداخل بذلك ثلاثة أزمنة من الماضي في الزمن الحاضر للقصة " وداخل كل زمن من الأزمنة الثلاثة الماضية أزمنة مختلفة ، وهو زمن تندرج الأحداث فيها . إذا كان زمن السرد هو زمن جلسة السمر فمن الطبيعي أن يكون أقصر من زمن القصة بكثير.

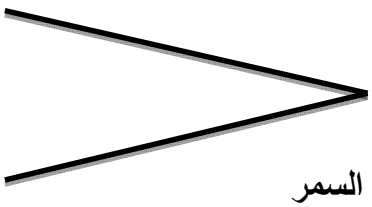

كما قامت قصة تأبط شراً على السرد الاستذكاري فقد دفعه السؤال عن خير يوم وشر يوم مرًّا به إلى حالة ارتداد إلى الماضي عبر لحظتي أمل وقلق كما

---

(١) السابق ٣٠٠/٢٢ .

(٢) مالك بن الريب من مازن تميم ، كان فاتكاً لصاً يصيب الطريق مع شظاظ الضبي الذي يضرب به المثل فيقال : ألص من شظاظ ، لحق بسعيد بن عثمان بن عفان ففرا معه لخرسان فلم يزل بها حتى مات. الشعر والشعراء ٣٥٣/١ معجم الشعراء ص ٢٣٣ .

(٣) لا تحمل المراجع إلا أنه : شاعر أموي لص كان من أصحاب مالك بن الريب .

(٤) لا تحمل المراجع إلا أنه : شظاظ الضبي شاعر لص كان يقطع الطريق مع مالك معجم الشعر والشعراء ص ١٢٤ .

عبر عنهما باشلار[1] ليمثل بسرده الاستذكاري إجابة على السؤال المطروح فقد قال الراوي:

" أخبرني عمي قال : حدثنا عبدالله بن أبي سعد قال : ذكر علي بن محمد المدائني عن ابن دأب قال : سئل تأبط شراً : أي يوم مربك خيراً ؟ قال خرجت حتى كنت في بلاد بجيلة أضاءت لي النار رجلاً جالساً إلى امرأة فعمدت إلى سيفي فذقته قريباَ ، ثم أقبلت حتى استأنست ..." [2]

" وشر يوم لقيت أني خرجت حتى إذا كنت في بلاد ثمالة أطوف حتى إذا كنت من الفقير عشيا إذا بسبع خلفات فيهن عبد فأقبلت نحوه وكأني لا أريده..." [3]

يحضر السرد الاستذكاري في سند القصة ومتنها فيتشكل بذلك ارتدادا زمنيا نحو الماضي في السند ثم تفتح إجابة السؤال زمن القصة لتدرج أحداثها عبر فترات زمنية متتابعة (خرجت ، كنت ، أضاءت ، عهدت ...) ثم يعود إلى زمن السرد (قال : فهو خير يوم لقيته) ثم يبدأ في الإجابة عن شر يوم فينفتح زمن القصة مرة أخرى.

---

(١) جدلية الزمن ص ٤٨ .
(٢) الأغاني ٢١ / ١٥٩ .
(٣) السابق ٢١ / ١٦١ .

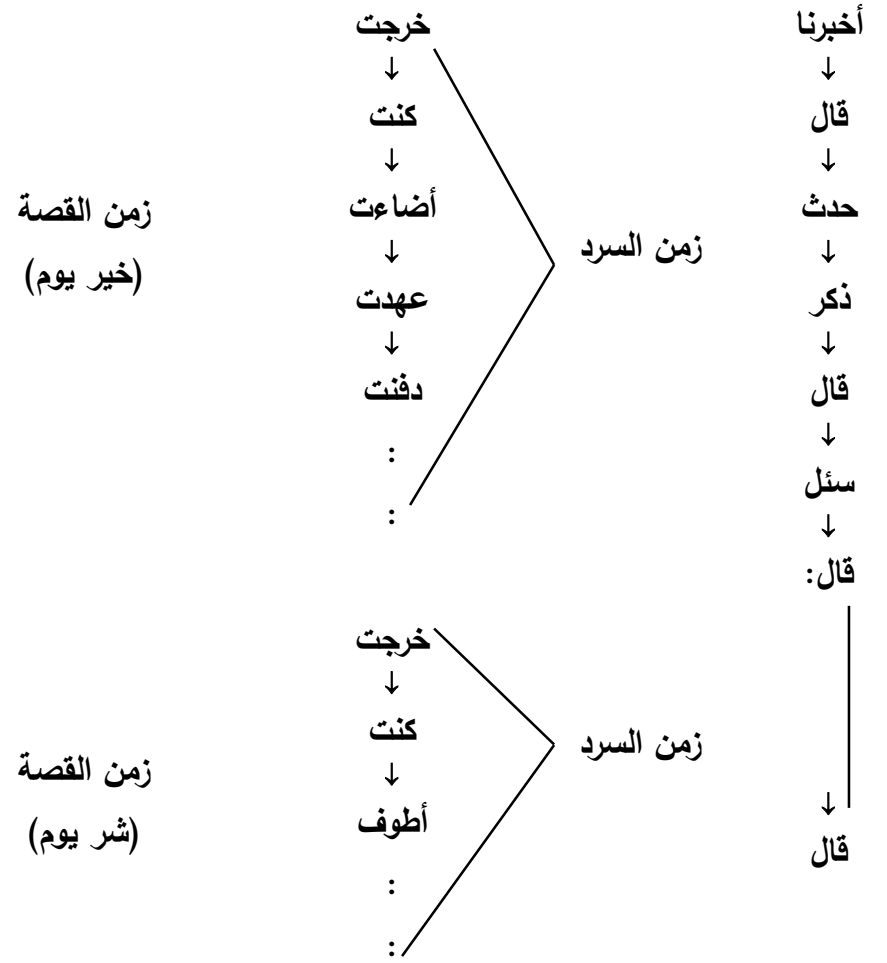

السرد الاستشرافي:

ونعني به عوض أحداث لاحقة لا يتصف معظمها باليقين وتمثل قطعا لزمن السرد الحاضر وتتنافى هذه التقنية مع التشويق النصي الذي يفضله المخاطب المتفاعل مع النص إذ يجب أن يكون ثمة نقطة غامضة يكتشفها بنفسه حتى تمنحه القدرة على مواصلة القراءة . ويرى توماشفسكى أن هذا النوع من السرد " يمثل الحالة الأكثر ندرة فهي حالة Nachgeschichte أي

سرد ما سيحدث لاحقاً ، والذي يدمج في الحكي قبل أن تقع الأحداث ويكتسي أحياناً شكل حلم.... [١] .

ويعمل السرد الاستشرافي على خلق حالة انتظار عند المتلقي من ذلك ما يلي:

" قالوا لأبي حردبة ويحك ! فحتام تكون هكذا قال : اسكتوا ، فكأنكم بي وقد ثبت، واشتريت فرساً وخرجت مجاهداً ، فبينا أنا واقف إذا جاءني سهم كأنه قطعة رشا ، فوقع في نحري ، فمت شهيداً قال : فكان كذلك : تاب ، وقدم البصرة ، فاشترى فرساً ، وغزا الروم ، فأصابه سهم في نحره فاستشهد"[٢]

يبدو أن الدافع النفسي لهذا الحلم الإحساس بالإثم لارتباطه بحياة الصعلكة وما فيها من سطو وقتل وقلق وتوتر فتاقت نفسه بعد أن هذبها الإسلام للتطهر بالشهادة ويتضح من خلال النص ظهور زمانين الماضي الذي يتوق الخروج منه والمستقبل الذي يتشوقه.

ومن السرد الاستشرافي ما جاء في قصة تأبط شراً وقد خرج لأخذ ثأر أصحابه قيل:

---

(١) نظرية الأغراض . مقالة في كتاب نظرية المنهج الشكلي . توماشفسكي ترجمة : إبراهيم الخطيب (الشركة المغربية للناشرين المتحدين ، المغرب ، ط١ ت ١٩٩٢م) ص ١٨٩م .

(٢) الأغاني ٢١ / ٤٧٣ .

وقف وأتت بـه ضبع من يساره فكرهها ، وعاف على غير الذي رأى ، فقال أبشري أشبعك من القوم غداً فقال له أصحابه ويحك انطلق... [١]

دفع تأبط شراً بهذا السرد الاستشرافي مظنة الموت التي تخامر نفسه من حياة الصعلكة ومخاطرها ومن خروجه لأخذ ثأر صاحبيه ومن تشاؤمه من مرور الضبع عن يساره ، لذلك كان في الاستشراف خروج من الموت المتوقع في الحاضر للنجاة المؤملة في المستقبل ، فقال : " أبشري أشبعك من القوم غداً ولكن افتراضه لم يكن صحيحاً وهذا يتوافق مع ما ذكره توماشفسكي من " أن الافتراضات قد تكون صحيحة أو غير صحيحة بصدد المستقبل" [٢] فقد قتل تأبط شراً في هذه الغارة وانطلقوا أصحابه وتركوه فجعل لا يأكل منه سبع ولا طائر إلا مات"[٣]

ولعل حياة الصعلكة وما فيها من مخاطر وحب للمغامرة كانت تدفعهم إلى استبعاد فكرة الموت والهلاك حتى وإن ظهرت لهم مؤشرات استدل بها العرب عامة على سوء الطالع الذي ما هو إلا استشراف للمستقبل كما ظهرت عند تأبط شراً في القصة السابقة وكما تظهر عند النشناش في القصة التالية فقد قال الراوي:

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب قال:

---

(١) السابق ٢١ / ١١١ .
(٢) نظرية الأغراض ص ١٨٩ .
(٣) الأغاني ٢١ /١١٢ .

كان أبو النشناش من .. بني تميم وكان يعترض القوافل في شدّاد من العرب بين طريق الحجاز والشام فيجتاحها فظفر به بعض عمال مروان فحبسه وقيده مدة ثم أمكنه الهرب في وقت غره فهرب فمر بغراب علي بانة ينتف ريشه وينعب فجزع من ذلك ثم مر بحي من لهب فقال لهم : رجل كان في بلاء وشر وحبس وضيق فنجا من ذلك ثم نظر عن يمينه فلم ير شيئاً ونظر عن يساره فرأى غراباً على شجرة بان ينتف ريشه وينعب فقال له اللهبي : إن صدقت / الطير يعاد إلى حبسه وقيده ويطول ذلك به وقتل ويصلب فقال له : بفيك الحجر قال : لا بل بفيك وأنشد يقول

وسائلة أين ارتحالي وسائل ... ومن يسأل الصعلوك أين مذاهبه!
مذاهبهُ أن الفجاج عريضة ... إذا ضن عنه بالنوال أقاربه
إذا المرء لم يسرح سواما ولم يرح ... سواما ولم يبسط له الوجه صاحبه
فللموت خير للفتى من قعوده ... عدياً ومن مولى تعاف مشاربه
ودويه قفر يحار بها القطا ... سرت بأبي النشناش فيها ركائبه
ليدرك ثأراً أو ليكسب مغنما ... ألا إن هذا الدهر تترى عجائبه
فلم أر مثل الفقر ضاجعه الفتى ... ولا كسواد الليل أخفق طالبه
فعش معذراً أو مت فإنني ... أرى الموت لا يبقى على من يطالبه[1]

تتضمن القصة عادة العرب في استشراف المستقبل من خلال فكرة التفاؤل والتشاؤم فترجح أحداهما مؤشرات تدعو إلى هذه أو تلك . منها كانت فكرة

(١) السابق ١٢ / ٣٩١ .

السارح والبارح والغراب ونحوه . وفي القصة تبدو ملامح سوء الطالع من خلال الغراب بسواده وشؤمه ، وزادت الصورة قتامة بقوله (ينتف ريشه وينعب) وقد خامره هذا الإحساس بدليل جزعه ومع ذلك دفعه بقوله لبني لهب : " رجل كان في بلاء وشر وضيق فنجا من ذلك " كما دفعه بالبحث عن علامات التفاؤل بالتفات إلى اليمن ورغم خيبة الأمل (لم ير شيئاً) إلا أنه رفض استشراف اللهبي عندما قال : (إن صدقت الطير يعاد إلى حبسه وقيده ويطول ذلك به ويقتل ويصلب) .

التواتر السردي:

تحمل كلمة التواتر في معناها المعجمي معنى التتابع سواء أكان سريعاً أم بطيئاً[1] ويمكن الوقوف على تقنية التواتر السردي أي حركة السرد في علاقته مع الزمن من خلال تقنية التلخيص والقطع ، وتعتمد على الحركة السريعة وتقنية الوصف والحوار على الحركة البطيئة وتتمثل في الاستراحة والمشهد.

التلخيص:

تعتمد الخلاصة في الحكي على سرد أحداث ووقائع يفترض أنها قد جرت في سنوات أو أشهر أو ساعات واختزالها في صفحات أو أسطر أو كلمات قليلة دون التعرض للتفاصيل[2] ، فنلحظ حضور هذه التقنية بوضوح في قصة أبي حردية حيث اختزل توبته وخروجه للجهاد واستشهاده .

- تبت

---

(١) اللسان : تور

(٢) بنية النص السردي ص ٧٦ .

- **اشتريت فرساً**
- **خرجت مجاهداً.**
- **جاءني سهم .**
- **وقع في نحري.**
- **مت شهيداً**[١]

وعلى الرغم من اعتماد الصعاليك على السرعة إلا أنه يقل اعتمادهم على تقنية التلخيص ولعل ذلك يعود إلى ارتباط هذه القصص بالرواية والمشافهة قبل أن تصل إلى مرحلة التدوين.

القطع:

يعمل القطع على إسقاط جزء من زمن الحكي سواء كان طويلاً أو قصيراً أو القفز بالأحداث فترة زمنية للأمام وبذلك يقل زمن السرد ويزداد زمن القصة[٢] **من ذلك قصة أبي خراش عندما افتدى أخاه عروة جاء القطع الزمني فيما يلي:**

" أخذ أبو خراش فكاك أخيه ، وعاد إلى القوم حتى أعطاهم إياه وأخذ ابنه فبينما أبو خراش ذات يوم في بيته إذ جاءه عبد له فقال : إن أخاك عروة جاءني وأخذ شاة من عمك ، فذبحها ولطمني لما منعته منها ، فقال له : دعه فلما كان بعد أيام عاد فقال له : قد أخذ أخرى.... [٣]

---

(١) الأغاني ٢١ / ٤٧٣.
(٢) نية النص السردي ص ٧٥ .
(٣) الأغاني ٢١ /٢١١ .

حدث القطع في القصة وأدى إلى إسقاط جزء من الزمن في موضعين حين قال : " فبينما أبو خراش في بيته ذات يوم..." أي أن هناك فترة زمنية مرت على أبي خراش لم يحددها الراوي كذلك نلحظ هذا الانقطاع من خلال تقنية القفز الذى ظهر في قوله : بعد أيام " لم يذكر عدد الأيام وإنما ترك مساحة الزمن لمخيلة المخاطب.

ومن القطع الزمني أيضاً ما جاء في قصة الشنفري [1] مع بني سلامان فقد قال الراوي:

" كان الشنفري في بني سلامان بن مفرج لا تحسبه إلا أحدهم حتى نازعته بنت الرجل الذي كان في حجره وكان السلامي اتخذه ولداً وأحسن إليه وأعطاه...."[2]

تمر أحداث هذا الجزء من القصة عبر أزمنة عدة تتشكل بين الفعلين " كان ولا تحسبه " وما بين الزمنين الماضي والمضارع فترة زمنية حدثت فيها معايشة بين الشنفري وبني سلامان هذه المعايشة لم تحدد بزمن معين وإنما توحى الأفعال الماضية المفسرة لجملة " لا تحسبه إلا أحدهم " بطول فترة المعايشة فقد قال الراوي : " اتخذه ولداً ... أحسن إليه ... أعطاه..." تحمل هذه الأفعال تناقضاً مع فعل الابنة الذي برز من خلال المنازعة (نازعته) مع

---

(١)هو ثابت بن أوس الأزدي الملقب بالشنفرى . شاعر جاهلي من الصعاليك من بني الحارث بن ربيعة الأزدي عاش ونشأ في بني سلامان من بني فهم الذين أسروه وهو طفل صغير فلما شب عرف قصة أسره فحلف أن يقتل منهم رجل وقد عرف أنه اشهر عدائي العرب الصعاليك ، مات على يد أحد بني سلامان . الأغاني ٢١ /٢٠١ معجم الشعراء ص ١٣٧ .

(٢) الأغاني ٢١ / ١٨٥ .

ما يحمله فعل المنازعة من تكرار يدل على مرور زمن غير محدد أيضاً تكرر فيه فعل المنازعة.

وتتوافق تقنية القطع مع حركة الصعاليك السريعة كما تتوافق مع هدف الراوي الذي يعتمد على التشويق والقفز بالأحداث لشد الانتباه وجذب الأسماع.

الاستراحة:

تكون الاستراحة في مسار السرد القصصي بسبب مقاطع الوصف الذي قد تؤدي إلى انقطاع السيرورة الزمنية ويعطل حركتها غالباً[1] من ذلك ما جاء في قصص السمر بين مالك بن الريب وأبي حردبة وشظاظ[2] فقد توقف الزمن في المقاطع التالية:

وصف المكان

- **"القصيم هو الموضوع الذي كانوا يسرقون فيه"**
- **" الدوَّ على مرحلة من البصرة حذاءها قريب منه جبل يقال له سنام وهو منزل الرفاق"**
- **"هناك شجرة ينام تحتها الركبان بمكان ليس فيه ظل"**

وصف الراحلة

- **" كان عليها أداة وثياب ونقد"**

---

(١) بنية النص السردي ص ٧٦ .

(٢) الأغاني ٢١ /٤٧٢ .

تحديد الصلة بين الشخصيات

- **" كان فلان رجل من أهل البصرة له بنت عم ذات مال كثير وهو وليها وكانت له نسوة"**

المشهد:

يقصد بالمشهد المقطع الحواري الذي يأتي أحياناً في تضاعيف السرد ويتطابق فيه زمن السرد بزمن القصة وقد يكون الحوار بطيئاً أو سريعاً ، كما قد تتخلله لحظات صمت وهذه بدورها تؤثر على الزمن المستغرق في الحوار[1] وفي قصص مالك وأبي حردبةوشظاظ نلحظ دور المشهد في تبطيئه الحوار من ذلك ما جاء في قصة أبي حردبة .

- **قلت : مالكم**
- **قالوا : صاحب لنا فقدناه**
- **قلت : أنا أعلم الناس بأثره**

كذلك ما جاء في قصة شظاظ

- **قال لرفيقه : والله لأنزلن إلى قبر فلان ، حتى أنظر هل يحمي الآن بضع فلانة؟**
- **قلت : بلى ورب الكعبة لأحمينها.**

وقد يمهد للقصة بالحوار كاشفاً بهذا المشهد عن ظروف القصة ويتساوى في هذا التمهيد زمن القصة مع زمن السرد من ذلك قصة أبي خراش فقد قيل:

---

(١) بنية النص السردي ص ٧٨ .

" خرج أبو خراش من أرض يريد مكة فقال لزوجته أم خراش ويحك إني أريد مكة لبعض الحاجة وإنك من أفك النساء وإن بني الدايل يطلبونني بتراث فإياك أن تذكريني لأحد من أهل مكة حتى نصدر منها فقالت : معاذ الله أن أذكرك لأهل مكة وأنا أعرف السبب"(١)

يقوم الحوار على العرض المباشر عبر صيغ مكثفة تحمل زمنا قصيراً وتعمل على إبطاء حركة السرد فيتساوى زمنه مع الزمن القصصي كاشفاً عن العلاقة بين الشخصيات وواقعها الذي تعيشه . واستمر الحوار أثناء سرد القصة بنسبة منخفضة ثم ظهر في نهايتها بشكل مكثف عبر صيغ الاستفهام ليتساوى زمن السرد مع زمن القصة في البدء والختام ويتسع فيما بينهما ، وقد جاء مشهد الختام حاملا جهل الزوجة وحنكة الأب من خلال الحوار التالي:

" سبقت أم خراش إلى الحي فنادت ألا إن أبا خراش قد قتل ، فقام أهل الحي إليها وقام أبوه وقال ويحك ما كانت قصته ، فقالت إن بني الدايل عرضوا له الساعة في العقبة قال فما رأيت أو سمعت قالت سمعتهم يقولون : يا مخلد أخذا أخذاًقال ثم سمعت ماذا؟ فقالت ثم سمعتهم يقولون : ضرباً ضرباً قال ثم سمعت ماذا" قالت سمعتهم يقولون رمياً رمياًقال فإن كنت سمعت رمياً رمياً فقد أفلت وهو منا قريب ثم صاح يا أبا خراش فقال أبو خراش يا لبيك وإذا هو قد وافاهم على إثرها" (٢)

---

(١) الأغاني ٢٠١/٢١ ، معجم الشعراء ص ١٦٧.
(٢) الأغاني ٢١ / ٢١١

قد تتمثل القصة من خلال الحوار فقط . فيتطابق عندها زمن السرد بزمن القصة من ذلك ما قيل في سبب لقب تأبط شراً قال الراوي:

" حدثني عمي قال : حدثني علي بن الحسن عبد الأعلى عن أبي محلم... أن أمه قالت له في زمن الكمأة : ألا ترى غلمان الحي يجتبون لأهليهم الكمأة ، فيروحون بها؟ فقال : أعطيني جرابك حتى أحتني لك فيه ، فأعطته فملأه لها أفاعي"(١).

بهذا نلحظ أن القصة في مجملها ما هي إلا حوار بين تأبط شراً وأمه.

بهذا يتضح لنا ارتباط الزمن في قصص الصعاليك بالسرد وظهر من خلال : المفارقة الزمنية ، والتواتر السردي ويظهر في المفارقة الاعتماد على تقنيتي السرد الاستذكاري والسرد الاستشرافي ويعني الأول حضور الماضي على حين يعتمد الآخر على حضور المستقبل بينما يقل حضور الزمن الآتي أو الحاضر في قصصهم لاعتمادها على الرواية أما التواتر السردي فيعتمد على السرعة في تقنيتي التلخيص والقطع وتقل السرعة في تقنيتي الاستراحة والمشهد لارتباط الاستراحة بالوصف وارتباط المشهد بالحوار .

---

(١) السابق

خاتمة

تمت بحمد الله تعالى دراسة المكان والزمان في الخطاب القصصي عند الصعاليك ، وقد أسفرت الدراسة عن النتائج التالية:

- **الارتباط بين تقنيتي المكان والزمان والخطاب القصصي .**
- **تعدد الأماكن في شعر الصعاليك لاعتمادهم على السرعة والتنقل.**
- **ضعف ارتباط شخصيات القصة بالمكان لعدم استقرارهم فيه .**
- **ساعد تعدد الأماكن الحقيقية والذهنية على تكوين الفضاء القصصي .**
- **اتسمت ألأماكن في قصص الصعاليك – رغم تعددها – بالتشابه لتقارب الجغرافية وطبائع سكانها.**
- **تميزت الأماكن في قصص الصعاليك من خلال وظيفتين : تأطير الحدث ، والإسهام في التعبير عن الحدث.**
- **ساعد تأطير الحدث على التالي:**
  - **إضفاء الواقعية على النص القصصي .**
  - **تحريك الخيال وشدة الانتباه.**
- **ساعد الإسهام في التعبير عن الحدث على التالي:**
  - **كشف الحالة النفسية والفكرية والاجتماعية لشخصيات القصة .**
  - **خضوع العلاقات الإنسانية لإحداثيات المكان.**

وأظهرت دراسة الزمن النتائج التالية:

- **ارتباط الزمن في قصص الصعاليك بالسرد فيعمل الزمن على تحريك الحدث وتفعيله من خلال المفارقة الزمنية والتواتر السردي.**
- **تشكل المفارقة الزمنية حضورا واضحاً في الخطاب القصصي عند الصعاليك لاعتمادها على الرواية والمشافهة التي أسهمت في اختلاف زمن السرد عن زمن القصة .**
- **إسهام كل من الراوي والشخصيات في ظهور المفارقة الزمنية .**
- **ظهور المفارقة من خلال السرد الاستذكاري والسرد الاستشرافي.**
- **يشكل السرد الاستذكاري حضوراً في هذه القصص وقد دفعت إليه حياة العزلة والغربة التي يعيشها الصعاليك ، واعتمادهم على الاستذكار لاستعادة بطولاتهم كما ساعد الرواة على ظهورها أيضاً .**
- **تتفاوت المقاطع الاستذكارية من حيث طول أو قصر المدة التي تستغرقها العودة للماضي .**
- **ظهور فجوات زمنية متفاوتة في السرد القصصي لاعتمادهم على السرعة والتنقل.**
- **يقل حضور السرد الاستشرافي الذي يعني بعرض أحداث لاحقة أي قبل وقوعها لكثرة مغامراتهم وإحساسهم الدائم بالخطر.**

تكشف دراسة التواتر السردي أي حركته مع الزمن عن النتائج التالية:

- **ظهور الحركة السريعة في التوتر السردي وارتباطها بتقنيتي التلخيص والقطع.**

- **تتوافق تقنية التلخيص والقطع مع حركة الصعاليك السريعة التي لا تتحمل الإطالة والإسهاب .**
- **ظهور الحركة البطيئة في التوتر السردي وارتباطها بتقنيتي الاستراحة والمشهد.**
- **ارتباط تقنية الاستراحة بالوصف الذي يعمل على قطع سيرورة الزمن .**
- **ارتباط تقنية المشهد بسرعة الحوار أو بطئه.**

تمت هذه الدراسة ولله الحمد وقد كان همها تأكيد ثراء أدبنا العربي ووجود الفن القصصي وحاجته للدراسات الحديثة التي تكشف عن قيمته المتجددة تجدد الدراسات وتنوع مناهجها وآلياتها.

وبالله التوفيق والسداد

الفهرس

مقدمة: ٤١١
المكانوالزمانفيالخطابالقصصي..... ٤١٣
تمهيد: ٤١٣
المبحثالأول : المكان ٤١٤
وظيفةالمكان : ٤١٦
تأطيرالحدث: ٤١٦
الإسهامفيالتعبيرعنالحدث : ٤١٩
المبحثالثاني : الزمان ٤٢٤
المفارقةالزمنية : ٤٢٤
السردالاستذكاري : ٤٢٥
السردالاستشرافي:..... ٤٣٠
التواترالسردي: ٤٣٤
التلخيص: ٤٣٤
القطع: ٤٣٥
الاستراحة:..... ٤٣٧

المشهد: ٤٣٨

خاتمة ٤٤١

الفهرس ٤٤٤